مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد02 2023/06/05
ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المراجعات السّياسية لمفهوم الدّيمقراطية عند الحركة الإسلامية في الجزائر

دراسة سوسيو–انثروبولوجية من وجهة نظر بعض الإسلاميّين السّابقين

Political reviews of the concept of democracy in the Islamic movement in Algeria

(A socio-anthropological study of the point of view of some former Islamists)

مراحي حسين*

جامعة أبو بكر بلقايد– تلمسان، الجزائر

Hmera971@gmail.com

تاريخ الإرسال:2023 /01/10 تاريخ القبول:2023/03/28

ملخص:

هناك العديد من المفاهيم السّياسية كانت الحركة الإسلامية تنكرها في السابق وتخوض سجالا فكريا وسياسيا ودينيا بحجة تعارضها مع تعاليم الدّين الإسلامي، ومن بين هذه المفاهيم نجد مفهوم الديمقراطية، بحيث كان يعتقدها البعض من الإسلاميين كفرا، ولكن بعد مرور سنوات العنف، وتغيّر الخريطة السّياسية في الجزائر واندماجهم في الحياة المهنية والاجتماعية،

واحتكاكهم بالواقع السّياسي والاجتماعي الّذي تغيّر، تغيّرت نظرتهم للحياة ككلّ بما في ذلك تمثلهم للديمقراطية، فقاموا بمراجعات فكرية مبرّرين ذلك بفتاوى شرعية، ومن المصادر ذاتها التي كانوا يستمدّون منها الفتاوى التي دفعتهم إلى التّطرف في تفكيرهم، وبالتّالي في سلوكهم، وذلك خلافا لما كان يعتقده البعض منهم أن بعض قناعاتهم واعتقاداتهم تبقى ثابتة لأنّها من الدّين، لا يمكن تغييرها بل يستحيل، لأن من منظورهم كانت تخالف مبادئ الدين.

الكلمات المفتاحية: الإسلام السياسي، الحركة الإسلامية، الديمقراطية، المخيال، التمثلات، المراجعات.

Abstract :

There are many political concepts That the Islamic movement previously denied, and it is engaged in an intellectual, political and religious débat Under the pretext of its contradiction with the teachings of the Islamic religion, Among these concepts, we find the concept of democracy, which some Islamists believed to be

*المؤلف المرسل : مراحي حسين، الايميل : hmera971@gmail.com

blasphemy. However, after the passage of years of violence, the change of the political map in Algeria, their integration into professional and social life, and their contact with the political and social reality that has changed, their view of life as a whole has changed, including their representation of democracy, They did intellectual reviews, justifying this with legal fatwas.
Keywords : Political Islam, Islamic Movement, Democracy, Imagination, Representation, Revisions.

مقدمة:

كان يعتقد بعض الإسلاميّين السّابقين المنتسبين للحركة الإسلامية عموما والمنتمين للحزب المحظور خصوصا–الجبهة الإسلامية للإنقاذ– بأن الدّيمقراطية كفر، لأنّها تتعارض مع مبادئ الدّين الإسلامي حسب زعمهم، وكان ذلك بين فترة1990–1999، ولكن بعد مرور عدّة سنوات واندماجهم في الحياة المهنية والاجتماعية واحتكاكهم بالواقع السياسي الجديد نضجوا سياسيا، فتغير تمثلهم لمفهوم الديمقراطية وأصبحوا يتبنّون هذا المفهوم في تصريحاتكم سواء ضمنيا أو تصريحيا، كذلك في سلوكياتهم ،بمعنى آخر تصالحوا معه وآمنوا به بعد كفر قديم، وهذا ما يجعلنا نتساءل حول هذه المفارقة العجيبة، لماذا كانوا يعتقدون أن الدّيمقراطية كفر ودافعوا عن هذه القناعة بجميع الوسائل سواء كان ذلك بالإقناع أو بالإكراه خلال سنوات التّسعينات، بحيث مارسوا العنف اللّفظي وكذلك العنف المادّي، ولكن اليوم صاروا من المقتنعين بها والمدافعين عنها، هل لهذا التغيّر مبررات، بمعنى آخر هل هو مراجعة فكرية مسنودة بأدلة شرعية، أم هو مجرد تكتيك واستراتيجية من أجل التكيّف مع الواقع السّياسي الجديد الذي حدث في المجتمع وفي البلد؟

ومن أجل الإجابة عن هذا التّساؤل، اقترحنا فرضية لتجيبنا عنه، والمتمثلة فيما يلي: إن الواقع الاجتماعي والسياسي، الذي تغيّر في المجتمع لغير صالح الإسلاميين، هو الذي دفع ببعضهم إلى تغيير تمثّلاتهم لمفهوم الدّيمقراطية إيجابا، فقاموا بمراجعة فكرية وسياسية، وذلك بتقديم مبرّرات دينية.

حاولت في هذا المقال الوقوف على التّمثلات السلبية في زمن التسعينات من القرن الماضي والّتي تحوّلت إلى تمثّلات إيجابية بعد تغير الواقع الاجتماعي والسياسي وحتى الاقتصادي للبلد، وبعد تراجع العنف المسلح وانتهاء بما سمي–بالعشرية السوداء– في المجتمع واندماج أصحاب هذا التمثل السّلبي للديمقراطية في الحياة الاجتماعية والمهنية واحتكاكهم بالواقع الجديد، وكذلك لمعرفة أنّ بعض القناعات هي التي تجعلنا نتمثّل مفاهيم موضوع ما ونغيّرها في يوم ما، ولو كانت قناعات دينية ،بالرغم أنّنا كنا ندافع عنها بشراسة، ،ومن أجل الوصول إلى الإجابة عن أسباب هذا التغيّر. اخترت المقاربة المنهجية التي تقوم على الإفادة من نظرية (تالكوت بارسونز) حول الفعل الاجتماعي التي تمكّن الاستعانة بها لفهم السير ورات الّتي تخضع لها

عملية المراجعات الفكرية عند الإسلاميين، بمعنى إعادة النّظر في بعض المفاهيم الدّينية. ومنها البناء الذي اعتمده في تشييد مفهوم (الفعل الاجتماعي).

وبما أن الفعل الاجتماعي يشتمل على مكونات ثلاثة:(الفاعل، الموقف، وموجهات الفاعل نحو الموقف)،إذ ما يهمنا في هذا البناء بالتحديد هو نمط العلاقات التي تحكم هذه العناصر الثلاثة، إذ يقوم الفاعل الذي نقصد به (الإسلاميين)باتخاذ القرار بصورة واعية في عدد من التّصرفات ،وتضطره الظروف إلى اتخاذ موقف آخر يختاره بنفسه، ويكون ذلك كلّه تحت توجيهات ودوافع توجّه الفاعل لاتخاذ القرارات في الموقف الذي يواجهه، فهذه المفاهيم يمكن الاستفادة منها بحكم أن العملية السياسية في طبيعتها إنما هي حصيلة أنماط التفاعلات القائمة بين مختلف الفاعلين السياسيين، وأن الفاعل المقصود بالدراسة أي(الإسلاميين)،يتفاعل مع محيطه ويبني مواقفه بناء على توقعاته لردود فعل المتوقعة من بقية الفاعلين ويتكيّف ويضطر إلى إعادة صياغة سلوكه السياسي، وفقا لما يستلزمه نظام التفاعلات القائمة ،

كما أن هذه المفاهيم تساعدنا على طرح أسئلة تخص نوع المدخلات التي تؤثر في القرار السياسي للإسلاميين ،وكيف يتفاعلون مع مواقف ومبادرات بقية الفاعلين، وكيف يتم تحويلها إلى مخرجات وكيف تتمّ عملية التّغذية الراجعة (G.Almond,and James Bingham,1966,p11) وللوقوف على هذا التّغير الخاص بتمثلات الديمقراطية تبنينا المنهج التاريخي ،لأنّنا كنّا نعرف مواقف هذه الفئة من الاسلامين منا لديمقراطية وعلاقتها بالدّين ،وكان ذلك في فترة التّسعينات من القرن الماضي، بحيث كانوا يعتبرونها كفرا تمسّ بمبادئ الدّين، عرفنا ذلك عن طريقا لاحتكاك بهم، و المناقشات التي كانت تدور بيننا في عهد التّعدّدية قبل أن تلغى انتخابات ديسمبر1992 الّتي فاز بها حزب الجبهة الاسلامية المحظورة. هذا ما جعلنا نستعمل أداة المقابلة الفردية والقراءة التقاطعية –Lecture Croisée–لمضمون هذه المقابلات ،وذلك وفق قاعدة تحليل المضمون–الخطاب– للوصول إلى نتائج تفسّر تغيّر تمثّلات الإسلاميين لمفهوم الديمقراطية إيجابا بعد ما كانت سلبية، وذلك عن طريق طرح أسئلة وفقا لنوع المقابلة ،أقصد بذلك المقابلة الحرة(غير المقنّنة)،واخترت هذا النّوع من المقابلة ،لأنّه لا يعتمد على استخدام أسئلة محدّدة مسبقا، وتتميّز بالمرونة في طرح وتعديل الأسئلة ،واخترت لذلك عيّنة متكوّنة من عشر أشخاص ينتمون جميعهم إلى سلك التعليم بأطواره الثلاثة في تخصص الشّريعة الإسلامية وتخصصات أخرى، علمية وأدبية وكلّهم كانوا زملائي في الدّراسة والبعض الآخر في المهنة، أقصد مهنة التّدريس في التّعليم الابتدائي،،ولذلك لم أجد صعوبة في التّحدّث معهم بكل سهولة ومعرفة أسباب مراجعاتهم الفكرية والسّياسية.

أريد أن أنبّه أن أسئلة المقابلة تضمّنت مواضيع حول علاقة الديمقراطية والشّورى وحول العنف المسلح وحول ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية لأسرهم، وكذلك حول تجارب الاسلامين في البلدان العربية

والاسلامية الأخرى، وخاصّة تجربة تركيا مع الديمقراطية، وكذلك رأيهم في حكم بعض الأنظمة العربية، وذلك لمعرفة إذا فعلا تغيرّت آراءهم ومواقفهم حول مفهوم الدّيمقراطية، بعد تغيّر الظّروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في البلاد، ولماذا تغيّرت.

المبحث الأول: المقاربة النظرية

1–الدراسات السابقة: الكثير من الدّراسات تناولت الحركات الإسلامية في الوطن العربي والإسلامي ومنها الحركة الإسلامية في الجزائر التي أخذت حظا وافرا من الدّراسة نلخّص بعضها.

أ–دراسة: الإسلاميون، دراسة وصفية نقدية تاريخية لبشير موسى نافع، الدار العربية للعلوم–ناشرون – مركز الجزيرة للدراسات، ط1 سنة2010.الدراسة شملت معظم حركات الإسلام السياسي، وأبرز المحطات في تاريخ هذه الحركات خاصة في الجزائر الهدف من الدراسة، هو معرفة الأثر الذي تركته حركات الإسلام السّياسي على بلدانها، وكذلك على بنية الإسلام الفكرية.

ومن نتائج الدّراسة أنّه قد لا يؤدي الصّعود الكبير للتّيار الإسلامي بالضّرورة إلى تغيّرات سياسية سلسة في البلاد الإسلامية، لأن النّخب الحاكمة في أغلبها لا يمكنها التّخلّي الطّوعي عن السّلطة بالرغم من أن بعض القوى الإسلامية تبنّت الخيار الديمقراطي للوصول للحكم.

ب–دراسة: دراسة ياسين سعيد بعنوان الجذر التاريخي والثقافي في المخيال الشعبي.

تطرقت هذه الدراسة إلى صلة العقل العربي السياسي بالجذر التاريخي والثقافي للدّيمقراطية في المخيال الشّعبي ومدى استعداد هذا العقل على إعادة بناء موقفه من الدّيمقراطية والانخراط في العملية التّاريخية الموضوعية لبناء دولة القانون والعدل. كما تتبّعت بعض المراحل التّاريخية لتستدل بها من أجل الوقوف على أبرز التّجارب السياسية التي كوّنت المخيال الشّعبي في صلته بالدّيمقراطية، وعلاقتها بالشّورى في الإسلام.

ج–دراسة: دراسة(بلال التليدي) في كتابه: مراجعات الإسلاميين–دراسة في تحولات النسق السّياسي والمعرفي، تطرّق الباحث في الفصل الثالث منه، تحت عنوان :النّموذج التّفسيري للمراجعات و أهمّ المحدّدات الرئيسية التي تفسّر مراجعات الإسلاميين وتحوّلاتهم السّياسية والفكرية في إطار ديني، وأنّ هذه الحركات الإسلامية تراجعت عن عدة مفاهيم سياسية وفكرية كانت تتبناها من قبل وتخلت عنها بحكم تغيّر الظّروف السّياسية والاجتماعية في الواقع المعيش، وجاءت بمبرّرات شرعية من نفس مصادرها الأولى التي كانت تستند إليها في تبرير سلوكها.

2-المنطلقات الفكرية للحركة الإسلامية الجزائرية:

تمهيد: تمكنت الحركة الإسلامية الجزائرية من احتلال الصّدارة في المشهد السياسي وتحديدا بعد أحداث 5أكتوبر1988،وانفتاح النّظام السّياسي آنذاك على التّعددية السياسية ،التي من خلالها حقّقت هذه الأخيرة ممثلة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ فوزا عريضا على الحزب الحاكم(جبهة التحرير الوطني)على إثر الانتخابات البلدية لعام1991،وبعدها الانتخابات التشريعية لعام1992،وما صاحب ذلك من تخوّف من إلغاء للديمقراطية نظرا للتصريحات التي كانت متداولة آنذاك من طرف بعض قيادات الحزب المنحل وعلى رأسهم الشيخ (علي بن الحاج) وبعض مناصريه، حيث صرّح سنة 1991 خلال تجمع "أنا كفرت بالديمقراطية" (علي بلحاج،1991) مما اضطر النظام السياسي إلى إلغاء هذه الانتخابات وحل الحزب الفائز ،الذي ترتّب عنهما دخول الجزائر في دوامة العنف اللّفظي والمادي. إذن ماهي الأسباب التي أدّت إلى ممارسة العنف من جانب هذا الفصيل داخل الحركة الإسلامية، الأمر الّذي دفعنا إلى أن نركّز على الأساس والمنطلق الفكري الذي استندت إليه لرفض الديمقراطية والكفر بها، والرّجوع عن ذلك بعد تغيّر المشهد السياسي في الجزائر.

3- تعريف الحركة الإسلامية ومنطلقاتها الفكرية

كل الحركات الاسلامية تتّخذ من الدّين مرجعا لها لتبرير سلوكياتها، وتسعى للتّمكين له من خلال مشاريعها السّياسية ،لأنّه هو المحرّك الأساسي لها لما يرمز إليه من مصدر مقدس جامع يلامس تمثّلات التّجربة الأولى في الاسلام، لقد كان الدّين باستمرار وسيلة للتّغيير الاجتماعي والسياسي والثقافي وحركة اجتماعية تعبّر عن قوى اجتماعية مضطهدة أو مهمّشة في المجتمع ضد قوى التّسلط والطّغيان، أمثال النمرود وهامان، وأبي جهل وأشراف مكة الذين اتهموا الرسول عليه الصلاة والسلام بتأليب العبيد عليهم (عبد الوهاب الافندي،وآخرون،2002،ص55)

-تعريف الحركة الإسلامية:

إن الفكر السياسي الإسلامي لم يعرف مصطلح الحركة الإسلامية بدلالته الحديثة كما يعبر عنها في العلوم الاجتماعية؛ ولكن كلمة: " الحركة الإسلامية " تضمّنتها مفردات اللغة، ويستخدمها مفكروها كتعبير عن حزب إسلامي سياسي.

"الحركة الإسلامية هي الأحزاب والجماعات والتكتلات العاملة في الساحة السياسية العربية والإسلامية، والتي تتبنى الإسلام عقيدة ومنهجا وسلوكا وفكرا، إلاّ أنها تختلف فيما بينها في الرؤية والأسلوب والتحليل، كذلك في فقه الأولويات أصولا وفروعا". (محمد عبد اللطيف،2000، ص235-236)

والحركة الإسلامية تؤمن بالعمل الحركي كصيغة لإعداد الطليعة، وتربية القاعدة لتنوير الأمّة لأداء دورها الرّسالي، ولها عدّة تسميات منها: الإسلام السياسي، الأصولية الإسلامية، الصحوة الإسلامية، الإسلام الراديكالي، التيارات الإسلامية. (يوسف القرضاوي،1979، ص37)

-المنطلقات الفكرية لهذه الحركات:

يقصد بالمنطلق الفكري الأساس الذي يبنى عليه الفكر، ليكون فيما بعد توجّها يؤثر في الواقع المعيش، وقد تعدّدت المنطلقات لتبرز في جوانب مختلفة كالاجتماع، والتّاريخ، والدّين والسّياسة عبر تاريخ الجزائر منذ الفتح الإسلامي، إلى الدولة العثمانية، لتتعرض من بعد ذلك للغزو الفرنسي عام1830م، ولسنا هنا بصدد تناول الموضوع من الناحية التّاريخية بقدر ما هو محاولة لإبراز تأثير هذه المراحل التاريخية على تكوين الإطار الفكري لهذه الحركات عموما.

تعتبر الآثار التي أحدثها الاستعمار الفرنسي منذ عام1830م الحلقات الأولى في سلسلة طويلة من البنى الفكرية التي تشكلّت بعد الاستقلال وما تلاها، فالاستعمار سعى لإدماج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي لسلخه عن هويّته الإسلامية، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، وظهر ذلك في استخدام الشعب الجزائري للخلفية الدّينية في مختلف مراحل المقاومة الشعبية وصولا إلى الثّورة التّحريرية التي تُوِّجت بالنّصر. وهذا ما يظهره لنا التأثير الدّيني ودوره في المشهد السياسي حتى بعد الاستقلال.

وانطلاقا من انقسام الحركة الإسلامية إلى عدد من التنظيمات المتباينة جعلها تتميّز بتعدّد المرجعيات الفكرية ابتداء بالفكر السّلفي (لابن تيمية) إلى (محمد عبد الوهاب) والفكر الإصلاحي لمدرسة (جمال الدين الأفغاني) و(محمد عبده)، وتلميذهما المتمثل في (الشيخ عبد الحميد بن باديس) إلى جانب فكر الجماعات الإسلامية المستمَدّ من مدارس شتّى كمدرسة (حسن البنا مدرسة المودودي)، ومدرسة (سيد قطب) مع هيمنة الفكر السلفي والإخواني على الساحة الجزائرية عموما من خلال التأكيد على المبادئ الخالصة للإسلام. (حسن سعد،2005، ص88)

- تعريف الإسلام السياسي:

تمهيد: ظهر (محمد رشيد رضا) في بيئة (محمد عبده) الفكرية وعلى منهجه الإصلاحي سار، متفقا حينا، ومختلفا حينا آخر معه، ليرسي مكوّنات ما اصطلح عليه بـ (الإسلام السياسي) الذي جعل من الإسلام ركيزة للعمل السياسي لمواجهة التّنافس الأوربي على احتلال الدول العربية والإسلامية وسلخها عن هويتها خلال بداية القرن العشرين.

-ماهية مصطلح الإسلام السياسي:

"الإسلام السياسي" مصطلح حديث، يطلق على الاتّجاه الذي يدعو إلى أن يحكم الإسلام الحياة في جوانبها كافة السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والقضائية والتربوية. وليس هناك شخص بعينه أو حزب يمكن أن يكون ممثلا شرعيا وحيدا لأصحاب هذا الاتجاه (جابر حبيب جابر2000، ص98-99) وأصحاب هذا الاتجاه يتطلعون إلى أن يسود الإسلام في المجتمع ويحكم كل قضاياه، لكن يختلفون في الوسائل للوصول إلى مبتغاهم والاتجاه الآخر أسقطوا من اهتمامهم إقامة الحكم بالإسلام ورضوا من أحكام الإسلام ما تسمح به الأنظمة السياسية الحاكمة. (إبراهيم عرابيه، قناة الجزيرة2002)

4-قيم الثّقافة السّياسية الديمقراطية وتمثلاتها في المخيال الشّعبي:

تمهيد:

كل إنسان منا يصبو أن يحيا حياة تليق به من جميع النّواحي سواء كانت مادية أو معنوية، وذلك من خلال أهداف سامية كالحرية، والمساواة، والعدل وتكافؤ الفرص واختيار حاكمه، وتقييمه بكل تأكيد هي دلالات الديمقراطية، فالديمقراطية هي بمثابة مفهوم ومنتوج انساني.

- الديمقراطية:

الديمقراطية هي نظام اجتماعي وسياسي يقوم على نمط من السلوك وأسلوب في التعايش السياسي السلمي بين فئات المجتمع المختلفة، ولعل السّمات الكبرى والبارزة فيه، هي فكرة التعاقد الاجتماعي الّتي تتوافق مع نظام يحول دون احتكار للسلطة، وبالتّالي دون استبداد بالحكم مطلقا، بحيث يسمح بالتداول على السلطة.

يتكون هذا المفهوم من مقطعيين مستمدّين من اللغة اليونانية الجزء الأول يشير إلى Demo بمعنى شعب، والجزء الثاني يفيد Cratos بمعنى حكم أي حكم الشعب أو سلطة الشعب. (إبراهيم عرابيه، قناة الجزيرة2002)

وعلى حدّ تعبير "روبير فريس" الديمقراطية هي سياسة الذات الفاعلة وبالأحرى هي سياسة الاعتراف بالآخر فالدول الأوروبية، ما صارت ديمقراطية إلا عندما اعترفت بعد الحروب الدينية، بتنوّعها الثّقافي والاجتماعي. (جورج طرابيشي،1998، ص39-40).

-قيم الثّقافة السياسية الدّيمقراطية:

عرّف جيمس جيبسون James L. Gipson الثّقافة السياسية الديمقراطية: "بأنّها مجموع المعايير الّتي تشجّع على صياغة التّفضيلات الفردية والجماعية في إطار سياق لدعم مجموعة التّرتيبات المؤسسية من أجل صنع القرار السّياسي الّذي يستجيب لهذه التّفضيلات. وحدّد أهمية المعايير في الثّقة في السلطة

والمؤسسات مع الإيمان بالحق في انتقادها، والتّسامح السياسي والحرية، والاعتقاد بحق المواطن إزاء الدّولة". (عبد السلام علي نوير،2011، ص24).

يذكر (لاري دايموند) أنّ نظريات الديمقراطية تؤكّد ضرورة وجود مجموعة من القيم والاتجاهات عند المواطنين، وأهمّها الوسطية والتّسامح والمدنية والفعالية والمعرفة والمشاركة. كما أنّ المعتقدات والمدركات عن شرعية النّظام تمثّل عاملا حيويا لاستمرار النّظام الدّيمقراطي أو انهياره. وبوجود هذه القيم يلعب الفرد دورا أساسيّا في الحكم من خلال القنوات المتعدّدة المجسّدة لذلك، كالاقتراع، والاهتمام السّياسي والإعلامي. وبهذه الثّقافة السّياسية يتشكّل لديه الثّقة بالنّفس، والاحساس بالجدارة للتّغيير في سياسة الحكم. (لاري دايموند،1994، ص23).

وعلى مستوى الفكر الإسلامي، فإنّ أهمّ القيم السّياسية تتمثّل في الشّورى، العدل، الحرية، المساواة. وفي هذا السّياق يرى (رشيد رضا) أنّ القيم السياسية الإسلامية ترتكز على القيم العليا كالتوحيد والعدل، عكس الفكر الليبرالي الّذي يجعل من الحرية أعلى قيمة، وأمّا الفكر الاشتراكي، فيجعل المساواة أعلى قيمة. (محمد سليمان أبو رمان،www.aljazeera.net)

-المشاركة السياسية:

يعرّفها (سيدني فيربا) بأنّها: "الأنشطة القانونية والشّرعية فقط، بهدف التأثير في السّياسات الّتي يتخذها الحاكم، من خلال هذا التعريف نخلص إلى القول أنّ المشاركة السياسية هي أنشطة شرعية وقانونية وغائية، تعمل على تحقيق أهداف معيّنة، منها التّأثير في اختيار سياسات الحاكم.

أمّا (صمويل هنتنغتون Samuel Huntington)فيعرّف المشاركة السّياسية بأنّها:" النّشاط الّذي يقوم به المواطنون العاديون بقصد التّأثير في عملية صنع القرار الحكومي، سواء أكان هذا النّشاط فرديا أم جماعيا، منظّما أم عفويا، متواصلا أم منقطعا، سلميا أم عنيفا، شرعيا أم غير شرعي، فعّال أم غير فعّال."" (سعيد أحمد أبو حليقة،1999، ص26).

-التمثلات الاجتماعية:

ليس هناك وجود بشري بدون وجود تمثلات ملازمة لهذا الوجود. فالتّمثلات تقود أعمال وممارسات البشر، في هذا السياق يرى ((Jodelet) أنّ التمثلات "هي شكل من أشكال المعرفة منتجة اجتماعيا، وتوجهّها، بحيث تسعى إلى بناء واقع مشترك لمجموعة اجتماعية". (Jodelet.D,1989,p36)

-التمثلات حسب (Mugny et Carugati.F):

"تلعب دورا أساسيا في ديناميكية العلاقات وفي الممارسات الاجتماعية للأفراد، تنطوي على وظيفة معرفية وادراكية، ذلك أنّها تمكّننا من إدراك وفهم الواقع، فهي تعكس صورة وخصوصية الجماعة

اجتماعيا. تسمح بتشكيل هوية اجتماعية وشخصية متوافقة مع منظومة القيم والمعايير المحدّدة اجتماعيا وتاريخيا". (Mugny et Caruqati.F,1985,p183)

وحسب (Mannoni-pierre):"التمثلات تتكوّن عن طريق عدة عوامل منها: الرّسومات الايركيولوجية، الأشكال والدّلالات اللّغوية، الذكريات الشخصية، الذكريات الجمعية ك (الأساطير والخرافات)، الكلام المعاد والمكرّر من المعارف العامية والعلمية لمجتمع ما ك (الأقوال المأثورة الكلام الهزلي، المعارف، المعتقدات، الأفكار والأحكام المسبقة، والسلوكيات المتكررة«. (Mannoni Pierre, www ,psr ,j k u.at.19.11.2006)

-التّمثلات حسب (marie Jean): "هي عبارة عن منتوج فكري يوضح المعاني وينظم المواضيع التي تكون في شكل حوارات في الواقع المعيش، كما أنّها هي عبارة عن مسار وحركة لتجديد الرؤى والأفكار والمواضيع لمجتمع معين" (Jean Marie,www,psr.jku.at.19.11.2006).

-التمثلات حسب (Deve chi) عبارة عن:

- بنية تحتية.
- نموذج تفسيري منظم بسيط ومتناسق.
- مرتبطة بالمستوى المعرفي والتاريخ الشخصي للفرد.
- تتأثر بالمحيط الاجتماعي والثقافي.
- التمثلات شخصية قابلة للتطور لتتكيّف مع الواقع الجديد.

كما يستخدم هذا المصطلح بمعنى التماثل أو المماثلة ويستخدم في العلوم الاجتماعية للدّلالة التي تنجم عن الاتصال Acculturationوعن التطور الثقافي عن طريق عملية التّثاقف المستمر بين جماعتين متمايزتين ثقافيا. (www.62.251153.82/pcsn/devicchi.27.01.2007)

هذه بعض التعاريف المختلفة التي تناولت التّمثلات.

- ومن خلال بحثنا هذا سنحاول تقديم تعريف إجرائي لهذا المفهوم، فالتمثلات هي: "مجموع الأفكار والتّصورات والمعتقدات التي يتبناها المبحوثين والتي تظهر من خلال سلوكياتهم، وأقوالهم".

وهناك بعض المفاهيم أدرجتها في هذا البحث لأنني رأيت أنها تخدم البحث ومنها:

-الاندماج (:L'intégration)

"الاندماج يعني ملائمة الفكر والسلوك الاجتماعي، ومشاركة الأقلية في الأنساق الاجتماعية للأغلبية، كما يعني أيضا التّخلي عن بعض السّمات الثّقافية واكتساب سمات جديدة من خلال الاتصال والمشاركة، بحيث يصعب تمييز الثّقافة الخاصة عن ثقافة المجتمع الكلي". (زكي أحمد،1978، ص221)

-التكيف (Adaptation):

في علم النفس الاجتماعي هو:" عبارة عن تغيّر في سلوك الفرد، ويظهر في محاولة التوافق مع المواقف الجديدة أما في علم الاجتماع فيقصد به تعديل السلوك وفق ما يتوافق به مع غيره حسب شروط التنظيم الاجتماعي وتقاليد الجماعة وثقافتها، قصد مماثلة الآخر في السلوك والهيئة." غيث محمد عاطف،1976، ص163)

-المخيال العربي الإسلامي:

-المخيال (L'imaginaire)

ظهر هذا المصطلح على أيدي عالم التحليل النفسي الفرنسي (Lacan-Jacque)، فقد استعملت الأنثروبولوجيا الفرنسية هذا المفهوم فعرفته على النحو الآتي، المخيال الجماعي: "هو مجموعة من التّمثلات الأسطورية للمجتمع. ومن جهة أخرى فهو الإطار الجماعي الذي يوجه، ويحدّد طبيعة مسيرة وسلوك الأفراد والمجتمعات، كما يحدّد ما يسمى في العلوم الاجتماعية بالشّخصية القاعدية (Basic Personality)" (مالك شبل1993، ص21)

-المخيال العربي الإسلامي:

ومن هذا المنطلق، فالمخيال العربي الإسلامي هو نتيجة تجارب عديدة عرفتها شعوب العالم العربي الإسلامي. وبمجيء الدعوة الإسلامية في القرن السابع الميلادي، حدّدت معالم المخيال العربي الإسلامي الذي يندرج تحتها المخيال الاجتماعي والسياسي.

وبتتبّع الجذور الثّقافية يمكننا الوقوف أمام بعض المحطات التاريخية، لنتعرّف على أبرز التّجارب السّياسية الّتي كوّنت المخيال الشعبي في صلته بالديمقراطية. سنجد في هذه المحطات كيف أن الحكام استندوا في كثير من الأحيان على ما أسموه الخصوصية (كمجموع للإرث الثقافي والأيديولوجي والسياسي والاجتماعي) لإقامة نظم للحكم، وظّفت مصطلحات في المخزون الثقافي العربي الاسلامي مثل الشورى والعدل لتبرئ ساحة الاستبداد، وأقنعت العقل العربي لقبول فكرة "المستبد العادل"، أو المقولة الشعبية: "حكم جائر ولا قوم فاسدة".

وخلال عهود طويلة راحت تعيد بناء مفاهيم مغايرة، وبمضامين مختلفة للشورى داخل الوعي العربي المقموع. وحتّى الأحفاد ساهموا في لعبة تغيير تلك المضامين اتجاه مصطلحات العصر. فرفع البعض شعار الديمقراطية ليوظّفه كغطاء لحكم مستبد تماما، كما حدث مع الشورى في مراحل تاريخية، بحيث شوّهوا مضمون الشورى، بما يتفق مع حاجاتهم إلى هذا المصطلح، مع النّفور من مضمونه الحقيقي الذي جاء به القرآن، وقد استمرت هذه الخبرة التاريخية المتراكمة فيما بعد. (ياسين سعيد، أبريل2013)

-المخيال السياسي الدّيني:

السياسة هي ليست مجرد علاقة قانونية بين الحكام والمحكومين تسندها المؤسّسات، ويضمنها العنف الشّرعي، ولكنّها تحتوي على بعد رمزي وشعوري مكوّن من خيالات وصور ورموز، هذه الفكرة أصبحت متداولة بفضل الدّراسات الأنثروبولوجيا المعاصرة الّتي اهتمّت بالمخيال السّياسي. (Durand:P.Clastre,2012)

إنّ المخيّلة الجماعية هي مصدر الآراء والمعتقدات الّتي تتبنّاها جماعة معيّنة، بحيث أنّ ما يجعل وضعا سياسيّا قابلا للاستمرار، هو كونه موضوع تخيّل من قبل المحكومين(باسكال).

لقد أكّد الانثروبولوجيّون المعاصرون على الدّور المعرفي للمخيّلة وساهموا في تثبيت الوظيفة السّياسية للمخيال الاجتماعي وفي هذا الصّدد بيّن(دورون) أنّه لا يمكن بناء نظرية انثروبولوجية، إذا لم تعط المخيّلة الرّمزية قيمتها الحقيقية. (Gilbert Durand,2003,P 24-25). فالمخيّلة تتعلّق بتصرّفات الإنسان كلّها ودوافعه واستعداداته اللّغوية الكامنة، الّتي هي وراء ابداعه للسرديات الثّقافية الأسطورية والدّينية والعلمية والسّياسية.

لا يمكننا أن نفصل نقد الحداثة بصفة عامّة، ونقد السّياسة بصفة خاصّة، عن المحاولات الفلسفية الّتي تناولت مسألة المخيال، إذ تعتبر نظرية (المخيال الجذري) الّتي عرضها "كاستور ياديس" في كتابه (تأسيس المجتمع تخيّليّا) (C. Castoriadis,1999,p 526) إضافة مهمّة في مجال نظريات المخيال، وفي مجال الفلسفة السّياسية.

وللمخيال السّياسي أشكال، أهمّها الايديولوجيا Idiologieواليوتوبيا UtopiaوالدّينReligion، ويعتبر هذا الأخير من حيث هو صادر عن (المخيال الجذري) مؤسّسا للمجتمع، ولكنّه يعدّ أيضا مصدرا لإنتاج دلالات أخرى تكرّس تبعية الإنسان لقوى متعالية، بمعنى أنّ التّصوّر الديني يقوم على فكرة التّعالي يتمثل في وجود كائن متعال، مطلق، يختلف عن الوجود الإنساني ومفارق للوجود الطّبيعي بصورة مطلقة، فيسعى الإنسان إلى الاتصال بالمطلق بواسطة ملكة التخيّل. انطلاقا من كلّ هذا ستعرّف التّمثّلات الدّينية والتّصوّرات اللاهوتية كمتخيّلات مشتركة، إذن هذا الارتباط بالمقدّس بواسطة الخيال، يصبح للمخيال دور أساسي في التّجربة الدّينية، فردية كانت أم جماعية، وهذا ما أدّى إلى تخيّل الآلهة في الثّقافات القديمة، وإلى تجسيدها في ظواهر طبيعية وكائنات حيّة (جيمس ج، فرايزر، 2014، ص130-136) كما أنّه مصدر للإبداع في المجال الاجتماعي التّاريخي (Thibault Tranchant,2015,P213-235).

-من الإشكالات المطروحة اليوم بحدّة في الفكر العربي المعاصر سؤال مدى تلاؤم النظم الديمقراطية مع أرضية ثقافية تتأسس على الدّين، وتتقيّد بمرجعيته ومشروعيّته.

- وبطبيعة الأمر لهذا السّؤال علاقة وثيقة بما يطرحه وجود وانتشار حركات الإسلام السياسي في حقلا لصراعات القائمة ،وذلك في سياق فكري شامل يتعلّق بالإطار الثّقافي الأوسع (منزلة الدين في النسق الثقافي المجتمعي وأثرها في المسألة السياسية). (رضوان السيد،1996، ص80).

المراجعات: بالتأمل في المعاجم اللغوية نجد أن لفظ " المراجعات " يدور حول عدة معان منها على سبيل الحصر:

-الانصراف عن الشيء والعدول عنه تراجع عن رأيه أي عدل عنه. (د. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون،2008، ص860-861).

- المراجعات اصطلاحا:

تعرّف المراجعات الفكرية بأنها: «المحاورات الفكرية المتعلقة بتصحيح مسارات الحركة الإسلامية وتعديل كثير من قضاياها وإعادة مراجعة مفاهيمها وخططها، وإعادة ترتيب أولوياتها، وتصحيح ما ترتب على ذلك من أخطاء لدى بعض الأشخاص والحركات وكانت له عواقب واضحة". (أ.د أحمد الريسوني،2014، ص32)

وتنقسم المراجعات إلى قسمين رئيسين، هما:

-**المراجعة البنائية:** وهي مراجعة التّسديد والتقريب المتواصلة، فهي بهذا المعنى مراجعة ذاتية وواعية من أجل تحصين الفرد والمجتمع من بعض نزعات الغلو والتّطرف.

-المراجعة العلاجية: ويقصد بها المراجعة العقدية والفكرية والسياسية للغلو والتطرف من خلال محاورة أصحابها بالدليل والحجة والحوار والإقناع. (أ. محمد يتيم،2015، ص2)

المبحث الثاني: المقاربة الميدانية.

لقد اعتمدنا في مجتمع البحث على الإسلاميين الذين مارسوا السّياسة من خلال النّضال في حزب (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) بين الفترة 1989-1992، واخترنا لذلك عينة تتكون من عشرة أساتذة (10) سابقين من جميع الأطوار التعليمية، كلّهم ينحدرون من دائرة أولاد ميمون ولاية تلمسان، ولأجل معرفة والوقوف على تغيّر تمثلاتهم السياسية اخترنا أداة المقابلة ذات الأسئلة المفتوحة لترك الحرية للمبحوثين للتعبير عن آرائهم ومواقفهم عن موضوع الدّراسة.

أما أسلوبنا في تحليل المعطيات هو منهجية الوصف المكثف لمنطوقات المبحوثين حسب تعبير LIFEETZG FORTG، حيث قدّم هذا المفهوم كأداة تحليلية عندما كان يتحدّث عن المادة الاثنوغرافية، وكيفية التعامل مع الانثروبولوجيا، وقد استخدمنا هذا المفهوم أيضا مع تكييفه في تحليل الواقع الاجتماعي والسياسي. (علياء رافع،2001، ص40)

وبناء على هذا الطرح بدأنا في عرض آراء وتمثلات المبحوثين محاولين قدر الإمكان الغوص في المعاني واكتشاف الدّلالات الصّريحة والضّمنية الّتي تكشف عن تغيّر تمثلاتهم، ومراجعتهم لمفهوم الديمقراطية. ولهذا الغرض اخترت بعض الأسئلة لمعرفة مدى تأثير بعض العوامل الاجتماعية والسّياسية والاقتصادية والثّقافية في تغيّر تمثلات بعض الإسلاميين السّابقين، وخاصة الّذين قضوا عدّة سنوات في السّجن.

السؤال الأول: حول ظروف السجن وهل أثرت عليهم إيجابا أم سلبا.

– كل المبحوثين العشرة، أجمعوا على أن ظروف السّجن كانت درس لهم، وكانت ايجابية، بحيث سمحت لهم بالتّعارف مع مساجين آخرين من مختلف الولايات، تبادلوا معهم المعلومات بشكل عام، دينية، وفي مجالات أخرى، وبحكم أوقات الفراغ الموجودة لديهم، استغلّوا هذا في كثرة المطالعة والتّفقه في الدّين.

من خلال إجاباتهم، تبيّن لنا أن مكوثهم بالسّجن سمح لهم بالاطلاع على المراجعات الدّينية والفكرية الّتي قام بها بعض الدعاة، وكذلك بعض الجماعات الإسلامية مثل الجماعة الإسلامية المصرية سنة1995، والتي سمحت لهم في إعادة النظر في بعض اعتقاداتهم السّابقة، وفي كثير من المسائل الفقهية والسياسية والتي تغيّرت عمّا كانت عليه قبل دخولهم إلى السّجن، لأن هذا الأخير مكان جيّد للقراءة والمراجعة الفكرية والمناظرة بعيدا عن ضغوطات الواقع، ولأنّه يتّسم بالهدوء، ويكون الانسان في خلوة مع نفسه تسمح له بالتفكير الجيّد . (مكرم محمد أحمد،1995، ص33)

السؤال الثاني: حول تدهور الظروف الاجتماعية والاقتصادية لأسرهم في أثناء تواجدهم بالسجن.

– تدهورت وضعية أسرنا اقتصاديا واجتماعيا وحتى نفسيا، لأن بعضنا كان متزوجا وبالتّالي فهو معيل لعائلته، والبقية الأخرى عزّاب، ولكن عائلاتنا كانوا يعتمدون علينا ماديا. لم نتأثر كثيرا قبل خروجنا من السّجن، لأنّنا كنا نرى أن هذا يعتبر تضحية في سبيل هذا الدين، ولكن بعد خروجنا من السّجن، تأثرنا بأحوالهم السّيئة اجتماعيا، وتفكّكت أسر البعض منّا، بعضنا حدث لهم انفصال مع زوجاتهم، والبعض الآخر تسرّب أبناءهم من الدّراسة وبالتالي انحرفوا، تضرّرنا كثيرا من هذا الجانب.

من خلال أجوبتهم يظهر أنهم ندموا على ذلك، لأنهم اعتبروا أنفسهم تسبّبوا في سوء الظّروف الاجتماعية لأهلهم، وأنهم أخطأوا التّقدير وبرّروا تراجعهم عن أفكارهم الأولى بمبررات دينية، بحيث يقدم الدّين الأولويات في تطبيقه، و يرى أنّ التّكفل بالوالدين والأبناء أولى من الجهاد، وهذا ما دعا إليه نبينا

محمد عليه الصلاة والسلام ،بحيث قدّم بر الوالدين على الجهاد في الحديث المشهور الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فاستأذنه في الجهاد، "فقال: أحيّ والداك، قال :نعم، فقال له ففيهما فجاهد." (رواه البخاري4/18)، (www.islamaq.inf/ar/answer/9506)

السؤال الثالث: حول تغيّر مفهومهم للجهاد بعدما كانوا يعتبرونه فريضة لإسقاط نظام الحكم آنذاك.

كانت اجاباتهم كالآتي: يعتبر الجهاد فريضة مطلوبة إذا أحسن فهم مدلوله وشروطه، بحيث لا يعلن الجهاد إلا بحقه بحيث لا يترتّب عليه مفاسد، ويكون بعد صدور فتوى تراعي الزمان والمكان والمبرّر الّذي لأجله نجاهد. وهذا ما يظهر في فتاوى بعض العلماء والدّعاة الثّقاة الذين ينتمون إلى الجماعة الإسلامية في مصر وغيرها من البلدان الأخرى الّذين قرأنا لهم في السّجن.

من خلال إجابات هؤلاء الاسلاميّين السابقين ،تبيّن لنا أنهم راجعوا أفكارهم واعتقاداتهم بعد اطلاعهم على بعض المراجعات الفكرية التي صدرت في فترة التّسعينات، كمراجعات الحركة الإسلامية المصرية التي أصدر قادتها عدم جواز قتال الحاكم الذي لم يظهر كفره علنا أمام الناس، كمفتي الجهاديين في مصر والعالم الإسلامي (السيد إمام) الملقب حركيا بـ(الدكتور فضل)،والدكتور(طارق الزمر) الذي أصدر كتابا بعنوان "مراجعات لا تراجعات" وعددا من الكتب الأخرى التي تخلوا فيها عن فكرهم القديم وتبنوا فكرا جديدا اعتنقوه بعد نضج التجربة والتأملات والمراجعات، ومن هذه الكتب نجد العناوين الآتية:

-مبادرة وقف العنف: رؤية واقعية ونظرة شرعية.

-تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء.

حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين.

-النضج والتبيين في تصحيح مفاهيم المحتسبين. (www.eipss-eg.org)

تراجع هؤلاء عن أفكارهم المتعلقة بالحاكمية والجهاد والحسبة، والخروج عن الحكام، وذلك بعد أن راجعوا الآية الكريمة: "ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الكافرون.". (الآية 44 من سورة المائدة)، توصلوا إلى القول بأن المقصود هنا بالكفر هو الحاكم الذي يرى أن حكم الله لا يصلح، بينما الحاكم الذي لا يقول هذا، فهو حاكم مسلم حتى ولو لم يطبق الشريعة. (مكرم محمد أحمد، ص31)،

وفيما يتعلق بالجهاد فقد وصلوا إلى قناعة بأنه وسيلة وليس غاية، فالغاية هي الهداية، ويمكن تحقيقها بدون جهاد، وذلك بأن القتال الذي حدث في التسعينات كان لرفع المظالم التي حدثت بداية بحل الحزب، وسجن مناضليه. (مكرم محمد أكرم، ص35)

السؤال الرابع: حول تغيّر مفهومهم لمبادئ الديمقراطية إيجابا وعلاقتها بمبادئ الإسلام بعدما كنتم تعتبرونها كفرا.

بعد اطلاعنا على بعض مبادئ الديمقراطية من خلال بعض الكتب، وجدناها أنّها لا تختلف عن مبادئ الإسلام المتمثّلة في: الحرية، المساواة، التسامح، التعددية، العدل، تكافؤ الفرص. وبالتالي تسمح لنا بالدعوة للوصول إلى قيام الدولة الإسلامية التي من غاياتها تحقيق العدالة والحرية.

نلاحظ من خلال إجابات المبحوثين أنهم بعد اطلاعهم وقراءتهم المتأنية لهذه المبادئ، وجدوا أنها كلها تتوافق مع قيم الدين الاسلامي، كما أن الشورى لا تتعارض مع الديمقراطية إلا في الجانب الفلسفي ،بحيث لا يتعاملون معها كفلسفة، أو عقيدة، وإنما كأداة فقط، لأنها تسمح لهم بالدعوة إلى القيم الدينية بكل حرية، وعندما يتبنّى أغلبية الناس هذه القيم ،فالشريعة تطبق بصفة آلية ،بدون إكراه ،ولا علاقة لإحلال أو تحريم الديمقراطية ،لأنه لا يوجد نص قطعي يحرّمها، وهذا ما يراه أستاذ أصول الفقه في الجامعة الإسلامية بغزة–فلسطين–بحيث دعا إلى عودة تطوير الفكر الإسلامي من "الحلال والحرام"، إلى "المصلحة والمفسدة" ،أو " الصواب والخطأ". معتبرا أن "أعمال مثل إنشاء أحزاب، أو الاشتراك في مظاهرة، أو التصويت لصالح مرشح معين، هي أعمال تقديرية، لا يصح أن يفتى فيها بالوجوب أو الحرمة. (www.arabi21.com/story/98/95/7941)

السؤال الخامس: هل كانت تسمح الظروف السياسية الداخلية والخارجية لتطبيق الشريعة الإسلامية في فترة التسعينات.

أجمع المبحوثون كلّهم على أن الظّروف السياسية الداخلية والخارجية لم تكن تسمح بتطبيق الشّريعة لا من حيث المكان، ولا من حيث الزمان ،أمّا على المستوى الدّاخلي، في تلك الفترة ،فترة التسعينات، بحيث كل الأحزاب المعارضة كانت تعارضنا، ونسيت معارضة النّظام الحاكم آنذاك ،وأيّدته في رفض نتائج الانتخابات التشريعية لسنة 1992، وأما على المستوى الخارجي ،فكانت هناك محاربة من طرف العالم بأسره، إعلاميا وسياسيا ،أي من طرف كل الدّول الغربية وحتى الدول العربية المتمثلة في أنظمتها السياسية، وحتى الشّعب لم يكن مهيئ من حيث الوعي السّياسي.

لقد برروا اجاباتهم بأن ديننا يحثّنا على مراعاة المكان والزمان لإصدار الفتوى الدينية، التي تخصّ تطبيق الشريعة الإسلامية في المكان المناسب وفي الزمان المناسب أيضا ،وهذا ما ذهب إليه "عبد الرحمان بن عبد الله "عضو مركز الدعوة والإرشاد بالسعودية في قوله أن" الفتوى تتغير باختلاف الزمان والمكان، وأضاف قائلا أنه لا يمكن أن يكون الواقع مصدر أحكام ،وإنما قد يجتهد لإصدار أحكام تناسب الواقع، وهو ما يعرف عند العلماء "بالنوازل"، التي تطرأ على البشر، وعلى سبيل المثال: حكم الصلاة لا يتغيّر في سفر ولا

في حضر، وإنما الّذي يتغيّر ما يجدّ في حياة الناس مثل حكم الصلاة في الطائرة، بحيث لم تكن الطائرة موجودة في عهد النّبي والصّحابة والتّابعين.
(www.said.net/Doat/assuham/fatwa/218,htm)

السؤال السادس: هذا النظام الذي كفرتم به ما زال قائما، لماذا لا تعلنون الجهاد عليه الآن، كما فعلتم في زمن التسعينات؟

إنّنا في حالة ضعف، لا يمكن أن نلقي بأنفسنا إلى التّهلكة، وديننا دين يسر، ولهذا أسّس فقهاؤنا قاعدة فقهية مشهورة، وهي قاعدة: "المشقة تجلب التيسير"، وجعلوها من القواعد الخمس الكبرى، وذلك بعد استقراء الفروع الفقهية، فرأوها في جملتها تحقّق هذا الأساس الذي بنيت عليه الشّريعة الإسلامية، وفرّعوا عليها قاعدة:" إذا ضاق الأمر اتّسع". (عبد العزيز محمد عزام، ص114)

ومن أهم مظاهر التّيسير على المكلّفين هو مراعاة الفروق الفردية بينهم، واختلاف الملابسات والظروف المحيطة بكل واحد منهم، وعلى هذا الأساس تتغيّر الفتوى لتلائم أحوال المكلّفين المتعدّدة وأزمانهم وأماكنهم المختلفة، (محمد توفيق رمضان البوطي،2009، ص698)

يظهر من خلال إجابات المستجوبين العشرة أن مفهومهم للجهاد تغير تماما، وأدركوا أن هذه الفريضة لم يكن وقتها مناسب ولا الجهة المستهدفة يجوز قتالها، أحسوا بالنّدم لأنهم رأوا أنّ هذا الأمر ترتّب عنه مفاسد كثيرة كسقوط ضحايا كثيرة وبدون نتيجة، وساهم ذلك في عزلهم عن المجتمع.

السؤال السابع: ما رأيكم في نمط الحكم في الدول الغربية الآن بعدما كنتم تعتبرون أوروبا دار كفر؟

أجمع كل المبحوثين على وجود عدالة وحرية، ومحافظة على حقوق الناس في هذه البلدان، حتى ولو كانوا غير مسلمين، لهذا نجدهم متطوّرين، ولقد صدق "الشيخ ابن تيمية "في قوله المشهور الّذي ذكره في رسالة الحسبة والمدرجة في مجموع الفتاوى، والتي نصّها: «وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، وإن لم تشترك في إثم، ولهذا اقيل: إن الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام" (ابن تيمية، ج28، ص146).

لقد سمع هؤلاء المستجوبين عن عدل عمر بن الخطاب منذ الصغر في كل مراحل التعليم، وعبر الكتب، ما شكل في مخيّلهم نموذجا عن العدل في عهد الصحابة الأوائل، ومن هذا المنطلق، فالمخيال العربي الإسلامي هو نتيجة لتراكم تجارب عديدة عرفتها شعوب العالم العربي الإسلامي، قد حدّدت معالم المخيال العربي الإسلامي، التي هي عبارة عن قيم مشتركة ضرورية لكل شكل من أشكال التّطور المستقبليّ. (www.islamonline.net/archive)،وهذا ما جعلهم ينفرون من الديمقراطية، لأنها ذات أصول غربية، وكانوا يكتفون بأنماط حكم الخلفاء التي تأثّروا بها ،ويرفضون غيرها من الأنظمة الدخيلة على ثقافتهم،

أما الآن بعد التطور التكنولوجي وظهور وسائط التواصل الاجتماعي وشاهدوا قيم العدل والحرية في هذه البلدان ،حتى في بناء المساجد، وتواضع الحكام عندهم، واحساسهم بالمسؤولية نحو مواطنيهم، وهذه الصّفات كانت موجودة في أيام حكم عمر ابن الخطاب ومثال على ذلك: أنه كان يهتم بشأن الفقراء والمظلومين، وكان أيضا يحسّ بالمسؤولية اتجاه الرّعية."

السؤال الثامن: ما رأيك في فترة حكم الرئيس الراحل صدام حسين الّذي كنتم ترونه أنّه حاكم ودكتاتوري، ولا يطبق الشّريعة الإسلامية؟

كانت اجاباتهم كالآتي: بالرغم من أن الرئيس صدام حسين كان ديكتاتوريا إلا أن فترة حكمه تميّزت بالاستقرار، والتطور العلمي مقارنة بالدول العربية الأخرى، كما أنه كان يحترم الدّين الإسلامي ،وكان يناصر القضية الفلسطينية، وهذا ما سبّب له مشاكل مع الغرب ،بحيث تآمروا عليه مع الشّيعة وقضوا عليه ،وعلى حكمه ،ولكن النّتيجة الآن هي تفكك العراق وتشتّت كل أطيافه السياسية ،ما يذكر" لصدام حسين" هو أنه كان يمجّد العروبة والإسلام ويناصر المستضعفين بالرغم من أنه لم يطبق الشريعة الإسلامية ، ربما الظروف السياسية الداخلية والخارجية لم تكن تسمح بذلك، زيادة على ذلك قتل وهو ينطق الشهادتين، لقد ختم الله له بالخير.

إجابات المبحوثين على هذا السؤال جاءت متطابقة ،تشير إلى تغيّر نظرتهم إليه، بحيث كانوا يعتبرونه كباقي الحكام العرب بأنّه طاغية ،فتنازلوا عن عدم حكمه بالشّريعة الإسلامية إلى احترامه لها فقط، مبرّرين ذلك بفتوى (الإمام أحمد بن حنبل)عندما سئل من طرف بعض المعاصرين له :"يا شيخ يوجد قائديْن ،قائد فاسق ولكنّه قويّ في العلم والكفاءة، وقائد تقي ولكنّه ضعيف .مع من نقاتل ؟فأجابهم: قاتلوا مع الفاسق القوي، لأن فسوقه على نفسه وقوّته تعود على المسلمين، أمّا التّقيّ الضّعيف ،فتقواه يعود عليه بينما ضعفه يعود على المسلمين". (ابن تيمية، الجزء28، ص255)

النتائج:

– نلاحظ في هذه الدّراسة أن هؤلاء الإسلاميين الّذين مرّوا بظروف سيئة بسبب تواجدهم بالسّجن، وحتّى بعد خروجهم منه، واحتكاكهم بالواقع، تغيّرت تمثّلاتهم لبعض المفاهيم التي كانت سببا رئيسيا في تطرّفهم، بحيث أصبحوا أكثر واقعية من ذي قبل، عكس ما كانوا عليه من مثالية في تفكيرهم. فمكوثهم في السّجن تلك المدة التي استمرت بين سنة1993 وسنة2000، وفّرت لهم الجوّ الهادئ لإعادة قراءة الواقع من جديد، وكذلك إعادة قراءة الفتاوى التي استندوا عليها من قبل، وذلك باحتكاكهم الثّقافي، أو ما يسمّى بعملية التثقف.

إضافة إلى ذلك سوء أحوال عائلاتهم اجتماعيا، أثّر فيهم بحيث أحسّوا أنهم تسبّبوا في تدهور حياتهم بعدما ضيّعوا مناصبهم السّابقة، وكذلك شعورهم بالذّنب إزاء سقوط العديد من الضّحايا.

إذن هذا التّغير في المفاهيم الّذي حدث لهم، ومن بينها مفهوم الدّيمقراطية، كان بفعل تغيّر الواقع الاجتماعي لأسرهم، والواقع السّياسي في المجتمع، بحيث أصبح لغير صالحهم، وأصبح من الضّروري التّكيف مع الأوضاع الجديدة، وبالتّالي التّخلي عن الأفكار القديمة التّي كانت في مرحلة الشباب الذي يتّسم بالحماسة، بعيدا عن النّضج والحكمة، بحيث أصبحوا أكثر عقلانية في قراءتهم للواقع وكذلك للفتاوى، لأنّهم صاروا أكثر تجربة وأكثر نضجا.

نلاحظ أن الفتاوى التي استندوا عليها لتبرير سلوكهم صدرت من نفس المصدر ومن العلماء الذين كانوا يتحجّجون بأقوالهم من قبل، بمعنى الواقع الجديد هو الذي فرض عليهم إتّباع الفتاوى التي تناسب ظروفهم في مرحلة قوتهم، وفي مرحلة ضعفهم غيّروا قراءتهم لأحكام وفتاوى الدّين. وما تلك الفتاوى الّتي استندوا إليها ما هي إلاّ لإقناع أنفسهم وإقناع الآخرين بتصرّفاتهم.

–وهذا ما جعلنا نصل إلى نتيجة أنّ التّغير سمة إنسانية، تمسّ جميع مناحي الحياة المادية والمعنوية بما فيها الاعتقادات الدينية وأن التّمثل مرادف لتثقّف، ويستخدم هذا المصطلح لوصف العملية التّي يقوم من خلالها تمثّل شخص من خارج الجماعة، أو مهاجر، أو جماعة ضاغطة، بحيث يتكامل مع المجتمع المهيمن المضيف به وبالتالي يتكيّف معه، بحيث لا يمكن معه تمييزه عن سائر أعضائه. (جمال صليبا،1982، ص341)

إذن اعتقاداتنا ونظرتنا للحياة ما هي إلاّ تمثّلات، تتغيّر بتغيّر الظروف والأزمنة.

الخاتمة:

في ختام هذه الدّراسة، نستنتج أن الواقع سواء كان سياسيا أو اجتماعيا ،هو المتحكّم في سلوكيات الأفراد والجماعات، وأن الدّين فيه ما هو ثابت وما هو متغيّر، بحيث يخضع للتغيّرات التي تحدث عبر الزّمن، وهذا ما نلاحظه في واقعنا السياسي والاجتماعي، بحيث تغيّرت نظرة بعض الإسلاميين سواء كانوا سياسيين أو عاديّين لأمور كانوا يعتقدون أنّها من الثّوابت، لأن لها علاقة بالدّين، وبثقافتهم بشكل عام ،كنظرتهم للمرأة بطريقة سلبية من حيث سلوكها ولباسها ،ولكن بعدما تزّوجوا وأنجبوا تنازلوا لبناتهم وأصبحوا ينظرون إليهنّ ايجابا، وحتّى نظرتهم اتجاه العلمانية والعلمانيّين بعدما كانوا يعتبرونهم أعداء للإسلام، بدأوا يتعايشون معهم فكرا وسلوكا، وهذا ما يظهر جليّا في تواجد إسلاميين وعلمانيّين في حكومة واحدة.

المصادر والمراجع

1- أبو حليقة سعيد أحمد،1999، تطور الفكر الاجتماعي في علم الاجتماع، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، ص26.

2-أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون،2008، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ص860-861.

3-الافندي عبد الوهاب، وآخرون،2000 الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، ص55.

4- البوطي محمد توفيق رمضان،2009، أصول الفتوى الشرعية وخصائصها، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلّد 25، ص698.

5- الريسوني أحمد،2014، مراجعات ومدافعات، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، ص32.

6- السيد رضوان،1996، سياسات الاسلام المعاصر، دار الكتاب العربي، ص80.

7-القرآن الكريم الآية 44 من سورة المائدة.

8- القرضاوي يوسف ،1979سبعون عاما من الدعوة والتربية والجهاد، ط1، مكتبة وهبة، ص37.

9-جابر حبيب جابر،2000، مستقبل الاسلام السياسي في الجزائر، مجلة العلوم السياسية، بغداد، كانون الثاني، ص89-99.

10-جميل صليبا،1982، المعجم الفلسفي، لبنان، الجزء1، ص341.

11-حسن سعد،2005، الأصولية الإسلامية العربية بين النص الثابت والواقع المتغير، سلسلة أسطوريات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص88.

12- رافع علياء،2001، التحولات العالمية والادوار المتغيرة للعلوم الاجتماعية "الانثروبولوجيا نموذجا"، مجلة إضافات، ص40.

13-زكي أحمد بدوي،1978، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان، ص221.

14-طرابيش جورج،1998 في ثقافة الديمقراطية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص39.

15-عبد العزيز محمد عزام، القواعد الفقهية، دار الحديث، القاهرة، ط1، ص114.

16-غيث محمد عاطف،1976 قاموس علم الاجتماع، مطابع المكتبة المصرية، ص163.

17-فرايزر جيمس،2014، دراسة في السّحر والدّين، ترجمة نايف الخوص دمشق، دار الفرقد، ص136.130.

18-لاري دايموند،1994، مصادر الديمقراطية، ثقافة الجموع، أم دور النّخبة، ترجمة سمية فلو عبود، بيروت، ط1، ص23.
19-مالك شبل،1993، المخيال العربي الاسلامي، المنشورات الجامعية الفرنسية، ص21.
20-مجموع فتاوى ابن تيمية، الجزء28، ص146-255.
21-محمد عبد اللطيف محمود،2000، الاختلافات الفقهية لدى الاتجاهات الاسلامية المعاصرة، مكتبة وهيه، المنصورة، ص235.
22- مكرم محمد أحمد،1995، ص31-35.
23-محمد يتيم،2015، ورقة بحث مقدّمة في مؤتمر "دور الوسطية في مواجهة الإرهاب وتحقيق الاستقرار والسلم العالمي، عمان، ص2.
24- نوير عبد السلام علي،2011، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الثّقافة السياسية، مجلة عالم الفكر، العدد 40، ص24.
25- ياسين سعيد،2013، الجذر التاريخي والثقافي للديمقراطية في المخيال الشعبي، المنتدى الثقافي-القاهرة

المراجع باللغة الأجنبية

1-Almond and Bingham,1966, Powel Comparative Politics : A Development. Approach, Boston ; little Brown, P11.
2. Clastres Durand,2012, Recherches d'anthropologie politique (Paris, Seuil.)
3-Cornelieus Castoriadis,1999, L'institution imaginaire de la société, Paris, Seuil, P526.
4-Gilbert Durant,2003, L'imagination Symbolique,5eme Ed (Paris, Quadrige, puf), p24-25.
5- Jodelet, D.1989 « Représentations Sociales, un Domaine en Expansion », in Jodelet, D. (Ed.), Les représentations sociales, ouvrage collectif [Paris], PUF, p 36.
36- Mugny, G. et Carugati, F,1985, l'intelligence au pluriel: les représentations sociales de l'intelligence et son développement, Consset, Delval, p 183
7-Thibault Tranchant,2015, Autonomie et Institution du Social Selon Debray Gauchet et Castoria, Revue Phares, xu-11 n°4, P215-235.

المواقع الالكترونية

1-إبراهيم عرابيه،2002، الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي بالعالم العربي موقع الجزيرة متوفر على الرابطwww.aljazeera.net/books

2-اذن الوالدين في الجهاد.www.islamqa.inf/ar/answer/9506

3-التّمثّلات حسبwww.62.251153.82/pcsn/devicchi

4-العدل-الفاروق- عمر بن الخطاب.wwwislameonline.net/archive

5-أيّ مراجعات فكرية يحتاجها الاسلاميّون؟www.arabi21.com/story/98/95/79

6-علي بلحاج، جوان1991، توثيق الأحداث (YouTube)،2022/12/15.

7-فتوى عبد الرحمان بن عبد الله.www.said-net/Doat/assuham fatwa/218htm

8-محمد سليمان أبو رمان السلطة السياسية في الفكر الإسلامي « محمد رضا نموذجا"، ط1، دار البيارق للنشر، عمان، واردة في الموقع الالكترونيwww.aljazeera.net

9-مراجعات-الجماعة الاسلامية-بين منهج التقييم ونوازع الايديولوجياwww.eipss-eg.org

10-Jeans Marie(seca),2002, Les Représentation Sociales, Paris,

Almond, Colin, Dans (www.psr.jku.at.19.11.2006)

11-Mannoni-Pierre ,1998, Les Représentations Sociales, Dans (Psr.jku.at.19.11.2006).